

رسالة الشعر

— — —

ليس الشعر صنعة يمكن كل انسان احترافها ، ولا أداة يستطيع كل شخص امتلاكها ، وإنما هو رسالة يلهمها الشاعر ، فإذا هو قد تبدل من نفسه نفساً أخرى ، تنظر الى العالم نظرة جديدة ، تغير قيم الاشياء في رأيه ، وتعديل أقدارها ، نظرته لا تقف عند القشور ، ولا تنحصر عند اللغائف ، وإنما تنفذ الى اللباب ، وتغلغل الى صميم الجوهر ، وما تزال هذه النظرة ترقى باحساسه وتسمو بقلبه ، حتى ترفع له الحجب عن الجمال الهامج في الكون ، وتكشف له الاستار عن سحره البديع وسره العجيب ، فيخر ساجداً أمام عرشه مفتوناً بحسنه ، مأخوذاً بروعته ، وما هي الا عشية أو ضحاها حتى يحس بشعور غامض غريب ، وحال نفسي شاذة ، لا يزالان يتضخمان في نفسه ، ويتبلجان في قلبه ، حتى ينحصر عن رسالة شاقة بمنمة معاً ، هي رسالة الجمال ، فيترجع بين سترها ونشرها ، ويتردد بين إخفائها وإعلانها . يد أن رسل الوحي لا تمهله ولا تتركه ، بل تتبعه وتقلقه ، وما تزال به حتى يذعن الى تليينها ، ويستجيب الى دعوتها ، فيتناول قنارته السحرية ، ويوقع للناس عليها أفكاره الغنائية اللذيذة ، ويرتل عليها أناشيده المندي الجميلة ، محاولاً بكل جهده أن يطلعهم على هذه المعاني الموسيقية

توضع جنباً لجنب مع توابيت الآلهة وتحمل في المواكب والاحتفالات معها . ٣ - أن تكون الأيام الخمسة الأولى من شهر توت أعياداً متصلة تقدم فيها القراءين ويلبس الناس فيها أكاليل القار . ٤ - إضافة هذا اللقب الجديد الى ألقاب الكهنة « كهنة الآله المحسن الوهاب بطليموس ايفانس الذي ظهر على الأرض » وتنقش هذه العبارة على خاتم كل كاهن وتسجل في كل وثيقة دينية . ٥ - للجنود أن يستعيروا من المعابد الصناديق التي تحوى صور بطليموس ويحملوها معهم الى ميادين الحرب تمهيداً بها . ٦ - كتابة صورة من القرار على حجارة من بازلت بلغة الآلهة (المهيرغرافية) وبلغة الأدب (الديموطيقية) ، وكذا باليونانية ويكون من بينها حجر كبير يقام في الهيكل الأعظم جنباً لجنب مع تمثال بطليموس « الآله المخلد في المعابد » .

عبد الفتاح الزيايدي

التي هي لباب كل شيء في هذا الكون ، وصميم كل موجود في هذا العالم ، وكل ماسواها إنما هو قشور وأغلفة ، فإن جمال الطبيعة ونظام الكون إنما يتألفان من شيء يشه النغمات الموسيقية وما بينها من اتسلاف وانسجام ، ووحدة وروم ، بل هو النغمات الموسيقية نفسها وما تحمل من رنة وجمال ، وما تغشى من حسن وجلال . ولقد اهتدى أحد فلاسفة اليونان القدماء بصيرته النافذة الى معرفة هذا السر الموجود في كل كائن فقال : إن اللافلانك موسيقى تنظم حركتها ودورانها ، وتحفظ توازنها وبقائها ، وأكبر ظني أن اليونان شعروا منذ القدم بهذه الحقيقة الجميلة ، وربما كان هذا الشعور هو السبب في نبوغهم في فن الشعر ، وتقوهم على العالم فيه ، فقد نظروا الى الطبيعة نظرة جمّة الضياء ، غزيرة الشعاع ، فتبينوا باطنها وكشفوا داخلها ، وعرفوا أن الموسيقى هي قلبها بل هي جمالها وجلالها ، فأخذوا يقتربون منها ، يحاولون أن يعرفوا أسرارها ويمثلوا نعماتها ، فكانت هذه المثل العليا في فن الشعر التي لا يزال شعراء العالم يحتذونها حتى الآن .

والمعاني الموسيقية التي يغنيها الشاعر لا ينقلها اليها من الطبيعة نقلاً وإنما يمزجها بقلبه ، ويخلطها بدمه ، ثم يقدمها اليها فتؤثر فينا تأثيراً جميلاً ، لأنها تصدر عن القلب ، وكل ما يصدر عن القلب يؤثر في القلب ، ولكن جماعة من النقاد زعمت أن الشاعر لا يربط شيئاً أكثر من الواقع الخارجي نفسه ، وكل ما يملك الشاعر تلقاه إنما ينحصر في كشف حقائقه ، وكأنهم أبوا إلا أن يفسروا كل شيء في الوجود تفسيراً مادياً فأنكروا الخيال وأنكروا المثال ، وما عرفوا أن في الوجود شيئاً آخر ليس حقيقة مقيدة ، ولا مادة محسوسة ، وإنما هو نور يشع على وجه الطبيعة ، فيشرق على قلوب الشعراء ، ويختلط بما فيها من نعمة وبؤس ، وشقاء وسعادة ، وبكاء وفرح ، ويمتزج بما يسرى في روعهم من خطرات وأفكار وخرايج وآراء ، فإذا هو نغم مزيج من الانسان والطبيعة ، وغناء خليط من قلبه وقلبا ، بل من خياله وجمالها .

وقد يكون من الجنود أن تقول إن الشعر من الأعمال الموضوعية التي لا يدين لصاحبها فيها أثر ، والتي يقتصر فيها على ابداء الملاحظات وذكر التنبيهات ، فإن الشعر ذاتياً أكثر منه موضوعياً وداخلياً أكثر منه خارجياً ، وهو يعني بتقديم شخصية صاحبه قبل عنايته بتقديم الموضوع الذي يحاول الكلام فيه ، وما

ذلك إنما أتى عن طريق غير مباشر في عرض الرسالة وأدائها ، ولعل أعظم برهان على ذلك أننا لانسمع لشعر الشاعر ، ولانفاته لأنه أكثر تفكيراً ، ولكن لأنه أكثر حساسية وأوفر شعوراً ، والذين يفهمون الشعر على أنه فلسفة أو أخلاق أو يحاولون فهمه على هذا الأساس ، إنما هم يحفظون في معرفة رسالته ، فالشعر لم يرسل ليكون لساناً للفلسفة ، ولا أداة للأخلاق ، وأما هذه الأفكار التي قد تشر بها عند بعض الشعراء ، فنظمتها فلسفة أو أخلاقاً ، فهي ليست من هذا الطراز الذي نعده عند الفلاسفة ، ولأمن المبادئ التي نعرفها عند الأخلاقيين ، وفهمنا على هذا النحو خطأ من أساسه ، ونسيان لرسالة الشعر وغايته .

والشعر لا يخضع لقانون خاص كمقوانين العلم ، ولا أصول ثابتة كأصول الدين ، وإنما يحتاج إلى قوة التأثير التي تربط بينه وبين قلوبنا وتصل بينه وبين أفكارنا ، وذلك لأنه صلة بين صاحبه وبين قارئيه ، وبمقدار تلك الصلة من القوة والضعف تكون منزلته العلو والأسفاف ، وقد نستطيع أن نقول إن التأثير هو كل شيء في الشعر ، وهو سر خلوده ، وسبب بقائه على وجه الدهر ، وما الشاعر العظيم إلا الذي يشعر الأشياء التي تلمس قلوب الناس وتؤثر فيها تأثيراً عيقاً ، ولقد كان قلب شاكسبير - كما يقول الأنجليز - كأنه مخلوق من قلب الإنسانية ذاتها ، لأنه كان يتحدث فلم يخطئ قلوب القلوب وخلجات النفوس ، ولقد كان لسانه - كما يقولون أيضاً - كأنه يحفظ كل الكلام الإنساني ، لأنه كان يعبر فيحسن التعبير ويؤثر فيجيد التأثير .

وإنه من الحق هنا أن نذكر أن معظم شعرائنا لا يتناولون بشعرهم ما يتصل بحياتنا اتصالاً مباشراً ، ولا ما يؤثر فيها ولو تأثيراً بعيداً ، كأنهم في شغل عنها أو في غفلة عن أمرها ، ولهذا فشعرهم لا يقع منا إلا موقع الطنين المبعوث والعضوض الكاذب ، فهو شعر لا يمتزج بالنفوس ، بل لا يتصل أى اتصال بالقلوب ، وما أشبه بمدينة منهزمة لها سور لا يكاد يقوم فلا هي تجذب العيون ، ولا هو يعطف القلوب ، رأينا كبريائي أن هذا الخطأ الفاحش في فهم رسالة الشعر جاء هؤلاء الناس من أنهم يعيشون معيشة قبيحة صرفة فهم لا يستدون فهم من الطبيعة التي ينظرون إليها ، ولا يتخذون ألوانه من الحياة التي يحسون فيها ، وإنما يجذبونه جذباً من دواوين أسلافهم ، ويسلبونه سلباً من موضوعاتها وأساليبها ، وكأنهم جهلوا أن الشعر هو نفس صورة الحياة معبرة في حقيقة الجمال الخالدة ، وموسيقاه المؤثرة ؟

شوقي ضيف

التصورات والأفكار الشعرية إلا الواقع كما نحلم به ونخيله ، لا كما نراه ونشده ، ولو كانت مهمة الشعر هي نقل مافي الطبيعة لكان تكراراً قليل القيمة ، ولو كانت هي فكرته عن الجمال لكان أقل قيمة وأدنى درجة ، وإنما تتركز مهمته السامية في أنه الحلقة الرابطة بين الطبيعة في أجمل مظاهرها وأسمى معانيها وبين روح الإنسان ، وإذن فالشعر لا يبتنى نقل حقائق الأشياء ولا اظهار جانب الحق وتزييف الباطل منها ، فإن لذلك لساناً خاصاً يقوم به . ونحن لا ننكر أن الشاعر يحب الحقيقة فإن الحقيقة في ذاتها محبة إلى كل نفس ولها سلطان على القلوب لا يمكن أخذاً أن يمحده ، ولكننا نقول إنما لا نريد من الشاعر بيان الحقائق ، وإنما نريد منه تجديدنا عن الجمال المستتر في الكون ، وتمثيل الموسيقى التي تولف بين أجزائه ووحداته ، وينبغي أن ننبه إلى أن الشاعر يعرف الحقيقة معرفة أخرى غير المعرفة التي يعرفها الرياضي والرجل العادي ، وكأن في الشعر ينظر إلى الأشياء من جهة خاصة به ، وينظر إليها العلم من جهة ثانية ، والدين ينظر إليها من جهة ثالثة ، وقد ينظر إليها الشعور العام من جهة رابعة ، أما هؤلاء الذين ينطقون عجا قائلين أى حق هذا بينما يقرأون شعر الشاعر إنما هم لا يعرفون كيف يستفيدون من الفن الاستفادة الصحيحة ، ولا ينتفعون به الانتفاع الواجب وهم يضعون أوقاتهم من حيث لا يشعرون ، والا لو كان الأمر كما يظنون لا قلب الشعر إلى صور من الحجب والبراهين

على أن الحقيقة الواحدة قد تبدل من حين لآخر أمام الشاعر الواحد ، ويبين هذا في أننا نلاحظ أن الشاعر المحب إذا كان مسروراً في الطبيعة وبش الساء ، وتخيل كأن كل شيء يحده ويضاحكه فالريح تدر إليه بأسم حبيته ، والنجوم ترنو إليه بعين الختان والعطف ، وكل شيء في الطبيعة يداعبه ويفاكهه ، أما إذا كان محزوناً فإن هذه الحقائق والأخيلة تتغير في رأيه ، وتختلف في نفسه فالريح تسخر من تأوهات ، والنجوم القاسية تنظر إليه في غير تقدير ولا عناية ، وكل شيء حوله مغاض له ساخط عليه .

قد يقول قائل إن الشعر يقوى ويوضح الاحساسات ويوسع الخيال ، ونحن نوافق على ذلك ونزيد أن الشعر قد يعمل على تنظيم ما يضطرب في عقول الآخرين ، وأنه قد يوقظ العقل ويوسع به بترقية الاحساسات وكثرة الأفكار التي يلقها إليه ، ولكننا ننكر أن هذه هي غايته السامية ، فليست رسالة الشعر هي التثقيف كما قال هورس ، فالتثقيف أداة خاصة به والشعر لا يراحمه فيها ، وما جاء من